اتجاهات الخطاب السياسي الأمريكي المعاصر

عبد الوهاب محمد الجبوري
مدرس مساعد/ قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة الموصل

مستخلص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح حقيقة الإعلام والخطاب السياسي الأمريكي بأقلام الإعلاميين والمفكرين والخبراء الأمريكيين أنفسهم. وان الأفكار والتنظيرات الأمريكية الحالية فإنها تعبر معظمها عن وجهة النظر الرسمية للإدارات الأمريكية المتعاقبة والمسنودة باللوبي الإسرائيلي بسياقاته المطروحة وتحولاته وأبعاده وأهدافه، ولا سيما ما يخص منطقتنا العربية والإسلامية كي نكون على بينة مما يخطط ويرسم لنا سرا وعلانية للاستحواذ على إرادتنا وقراراتنا وسيادتنا وثرواتنا ووحدة امتنا.

مقدمة

لم يكن موضوع دراستنا هذه وليد ردود فعل النخب الأمريكية المثقفة تجاه الأعلام الأمريكي وما كتب عن مختلف القضايا التي تهم منطقتنا العربية والإسلامية خاصة نتيجة الأحداث التي مر بها العالم منذ انتهاء الحرب الباردة والأحداث التي عصفت بالولايات المتحدة في أكثر من موقع، وما تلا ذلك من تداعيات سياسية وعسكرية وإعلامية واجتماعية وثقافية اتخذت من مسار الأحداث مسوغا لتمرير الكثير من الأفكار والرؤى والنظريات التي لم يكن لها أن تطرح علانية قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وأحداث الحادي عشر من أيلول واحتلال العراق..

وهذه الدراسة هي خلاصة متابعة لسنوات عديدة أعدت عن حقيقة الأعلام والخطاب السياسي الأمريكي بأقلام الإعلاميين والمفكرين والخبراء الأمريكيين أنفسهم.. وان ما نشاهده اليوم وما نقراه من أفكار وتنظيرات أمريكية إنما تحمل قيم ومفاهيم أصحابها، في نفس الوقت يعبر معظمها عن وجهة النظر الرسمية للإدارات الأمريكية المتعاقبة والمسنودة باللوبي الإسرائيلي في واشنطن وإسرائيل، وهذه الرؤى والنظريات هي حقائق اقرها أصحاب الاختصاص قبل أن ينكرها من خدع بقناع الديموقراطية وزيف الثقافة الحرة والكلمة الموضوعية المحايدة..

وفي هذا المجال يقول (روبرت ويكس) أستاذ الأعلام في جامعة أركنساس الأمريكية في كتابه (فهم جمهور الإعلام) الذي صدر عام 2001: (إن الإعلاميين يبنون رسائلهم على ثقافتهم ومعتقداتهم ومواقفهم، ورسائلهم الإعلامية هي انعكاس لمواقف مسبقة قد تؤثر على بناء الرسالة الإعلامية ومضمونها، وان المؤسسات الإعلامية تؤثر أيضا في بناء الرسالة الإعلامية وتوجهاتها، وإذا اتفقت توجهات الأفراد مع توجهات المؤسسات فان ذلك يعزز من الأثر الذي تحدثه الرسالة الإعلامية

المصبوغة بصبغة الإعلاميين ومعتقداتهم)[1] وينطبق الشيء ذاته على تحليلات ورؤى المنظرين الأمريكيين وخبرائهم.. باختصار فان هذا يمثل ما يمكن أن نسميه بالأيديولوجية الفكرية والإعلامية للخطاب السياسي الأمريكي، وهي الأيديولوجية التي أخذت تظهر إلى العلن في إطار ما سمي بتيار صراع الحضارات، الذي رسمه وخطط له عدد من فلاسفة السياسة والتنظير الأمريكيين وأهل الاختصاص والرأي في دوائر التخطيط ألاستراتيجيي من أمثال (صموئيل هنتنغتون)، ونفذها صناع القرار السياسي والمستثمرون في العقل البشري العالمي من خلال وسائل الأعلام ذات السيطرة والهيمنة على كثير من مصادر المعلومات والتحليل في عصر الرقمية والفضائيات[2]...

ولأهمية هذا الموضوع يكون من الضروري لكل باحث ومثقف وقاريء أن يطلع على تفاصيل الخطاب السياسي الأمريكي بسياقاته المطروحة وتحولاته وأبعاده وأهدافه خاصة ما يتعلق بمنطقتنا العربية والإسلامية كي نكون على بينة وصورة واضحة مما يخطط ويرسم لنا في السر والعلن للاستحواذ على إرادتنا وقراراتنا وسيادتنا وثرواتنا ووحدة امتنا..

فبعد الحرب العالمية الثانية قامت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على ثلاثة ثوابت[3]: احتواء النفوذ السوفيتي، ضمان امن إسرائيل وتفوقها العسكري وحماية المصالح الأمريكية في المنطقة، وبعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي في أواخر القرن الماضي ظهر ما سمي بالنظام العالمي الجديد والشرق الأوسط الجديد.. بعد حرب الخليج الثانية واتفاقيات اوسلو 1993 حدث تحول في الخطاب السياسي الأمريكي، فحسب بعض المحللين الاستراتيجيين تراجعت الديمقراطية، التي احتلت المقام الأول في هذا الخطاب خلال الحرب الباردة وتقدم عليها مبدأ التفوق الأمريكي واستقرار النظام العالمي.. وحول هذا التحول في الفكر السياسي الأمريكي

يتفق محللون سياسيون عالميون على أن هناك أجماعا بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي على ضرورة ترسيخ دعائم المؤسسات الدولية وإعطائها دورا من اجل معالجة أي محاولة تعيد النظر في المصالح القائمة مع بقاء الجدل قائما حول طبيعة تدخل الأمم المتحدة ومداه في ألازمات الجديدة مع إبقاء خيار استخدام القوة قائما وحسب ظروف ألازمة وتأثيراتها على المصالح العليا للولايات المتحدة.. ولإلقاء الضوء على موضوع الدراسة تم تناولها على النحو آلاتي:

1. الديموقراطية حسب الرؤية الأمريكية..
2. ابرز نظريات ورؤى الخطاب السياسي الأمريكي..
3. نظرية السيطرة على قلب روسيا..
4. نظرية صدام الحضارات
5. سياسة احتواء منطقة الشرق الأوسط..
6. تقرير فريق العمل الأوربي- الأمريكي حول الشرق الأوسط..
7. الخطاب السياسي واحتلال العراق..
8. الحرب من اجل إسرائيل..
9. تقسيم العراق..
10. المستنقع العراقي..
11. رؤية الرئيس بوش والصلة بين العراق وفلسطين..
12. الخاتمة..

الديموقراطية حسب الرؤية الأمريكية

يرى باحثون ومحللون استراتيجيون أن الحزب الديمقراطي يصر على ضرورة التدخل ضمن اطر قانونية دولية حتى يتسنى إشراك الدول الكبرى الأخرى في تحمل الأعباء والمسؤوليات، بينما يصر الحزب الجمهوري على أن الولايات المتحدة يجب أن لا تعتمد على الأمم المتحدة، بل عليها إعطاء الأولوية لدور الولايات المتحدة وحلفائها.. ويزعم مناصرو التفوق الأمريكي أن الحفاظ على هذا المبدأ وتطبيقه هو كون الولايات المتحدة الدولة الوحيدة القادرة على تامين الاستقرار وفرض احترام النظام الدولي القائم[4]..

وبالنسبة للديمقراطية نجد باحثين أمريكيين يعارضون تهميش دورها أو تقليل أهميتها في حركة الأحداث والتطورات العالمية ومن هؤلاء الدكتور (فرنسيس فوكاياما) مؤلف كتاب (نهاية التاريخ) الذي يدعو إلى تحقيق الديمقراطية الليبرالية وحسب رأيه فان الديمقراطية تمنع العدوانية ويعتبر الانتقال إلى الديمقراطية مصدر استقرار في النظام العالمي وضمان للأمن القومي الأمريكي ويذهب ابعد من هذا عندما يفترض أن الدول الديمقراطية سوف تتقيد ببنيتها الداخلية في سلوكها الدولي.. ويشاطر الخبير الاستراتيجي (جون أوين) فوكوياما هذا الطرح ويسير معه في نفس الاتجاه[5]..

لكن هذه الطروحات تعرضت إلى الانتقاد من قبل أصحاب المدرسة الواقعية ومنهم (صموئيل هنتنغتون) صاحب تيار (صدام الحضارات) و(كنيت والتز) احد منظري هذه المدرسة الذي يصف طروحات أصحاب المدرسة المثالية بأنها تتجاهل القوانين الخاصة بالنظام العالمي الذي يفرضه منطقه على سلوك الدول، فالغايات التي تسعى وراءها كل دولة أيا كان نظامها، هي البقاء ومد النفوذ.. أما (كيسينجر) فانه يحذر من المثالية في التعامل مع روسيا، فعلى الرغم من تبنيها للديمقراطية الليبرالية كنظام سياسي، فهو يرى أنها لم تتخل عن أطماعها الإقليمية ولها توجهاتها الثابتة

النابعة من مصالحها كدولة والتي لا يجب حصرها في طبيعة نظامها السياسي[6]..

خلاصة هذا الاتجاه هو أن السير نحو الديمقراطية لا يؤدي بالضرورة إلى انتهاج سياسة سلمية وخاضعة لمتطلبات النظام الدولي، بل أن ذلك سيوفر فرصة لشعوب،هي في صراع مع الغرب، بان تعبر عن عدائها له.. وحسب أصحاب هذا الاتجاه، فان الأفضل للغرب هو المساهمة في إجهاض المسيرة الديمقراطية في مثل هذه الحالات وهم يرون انه مع سقوط الشيوعية تحول الصراع من المستوى الأيديولوجي إلى المستوى الحضاري ولم تعد الديمقراطية هي الحد الفاصل بين الكتل الدولية ولهذا لا يسع الاستراتيجية الأمريكية إلا أن تتحدد بمضمون حضاري والدفاع عن الحضارة الغربية وعن سيطرتها الكونية.. والاستنتاج الذي نستخلصه هو أن المناهج الفكرية الأمريكية، التي يعبر عنها الخطاب السياسي الأمريكي، لا تترجم خلافا في الممارسة السياسية لان القرار الأمريكي يعتمد التوليف بين هذه التيارات، والذي يرجح كفة احديهما على الأخر هو ظرف استراتيجي مناسب له..

أبرز نظريات ورؤى الخطاب السياسي الأمريكي

1. نظرية (التدخل الديمقراطي (وهي النظرية التي طرحها (فرنسيس فوكوياما) التي تقسم المجتمعات إلى كتلتين (المجتمعات التاريخية) الدكتاتورية و(مجتمعات ما بعد التاريخ) الديمقراطيات[7]..

ولا يدخل (فوكوياما) في تفاصيل التحليل الجيوسياسي للوطن العربي، بل يرسم، بصورة غير مباشرة، حدود الشرق الأوسط كوحدة جيوسياسية تجمع بين النفط وإسرائيل ودول الجوار لها (على حد تعبيره).. وحسب هذه النظرية فان تدخل الديمقراطيات في شؤون (العالم التاريخي) يظل

ضروريا من اجل ضبطه باعتباره مصدر تهديد سياسي وعسكري لها ويتم ذلك عن طريق التضامن فيما بينها، ويجب إعادة النظر في دور الأمم المتحدة ومشاركة (العالم التاريخي) في اتخاذ القرار.. وفي هذه الحالة يكون حلف شمال الأطلسي هو البديل لها بسبب تجانسه وقدرته على الردع[8]...

2. نظرية (التوسع الديمقراطي): وهذه النظرية التي عبر عنها (انطوني لابك) تحدد أن غالبية الدول في أوربا الشرقية وفي العالم الثالث لم تعد حاملة لاستراتيجية المواجهة مع أمريكا وأنها انضمت إلى الفكر الليبرالي وسلَكَ العديد منها مسلك الديمقراطية السياسية، لذلك يقترح (لابك) رسم خارطة جيو اقتصادية بحيث يستعاض عن مبدأ الاحتواء بمبدأ التوسع الديمقراطي، وبما أن هذه الدول تعيش أزمات اقتصادية فلا بد من دعم اقتصادي أمريكي لها[9]..
3. نظرية (النموذج الواقعي): يبين (كينيث والتز) في نظريته هذه أهمية موازين القوى ويتوقع ابتعاد الدول الكبرى الأخرى عن الولايات المتحدة، بوصفها القوة العظمى، فتتجه ألمانيا نحو أوربا الشرقية وروسيا وتتجه روسيا نحو ألمانيا واليابان.. وحسب رؤية (والتز) فأن (الدول العاصية) الموجودة في الشرق الأوسط لم تعد مصدر تحدٍ أساسي بقدر ما أصبحت تصنف على أنها دول خارجة عن إطار اللعبة المتفق عليها دوليا[10]..
4. (نظرية موازين القوى): تبرز هذه النظرية، التي حددها (هنري كيسينجر) أهم موازين القوى وتدعو إلى ضرورة التخلي عن المقاييس الأيديولوجية الصرفة وتحذر من التعاون الروسي الألماني في أوربا الوسطى والشرقية وبالمقابل تحذر من النزاع الروسي الألماني الذي قد يؤدي إلى فوضى سياسية في المنطقة[11]..

5. نظرية ما يسمى (بالحرب على الإرهاب(وتتلخص هذه النظرية التي يتبناها أكثر من مسؤول وخبير أمريكي ومنهم (كولن باول) بالادعاء بأن الناس عندما يفكرون بالسياسة الخارجية الأمريكية فإنهم يفكرون بأوجه (الحرب على الإرهاب) وإعادة أعمار العراق وأفغانستان والاضطرابات في الشرق الأوسط وما تسميه النظرية (بخلايا الإرهاب المختبئة) في جنوب شرق آسيا وأوربا وحتى الولايات المتحدة، وكلام باول عن (الناس) يؤكد الرغبة الأمريكية في أن تكون الولايات المتحدة هي الوصية عن العالم والمهيمنة على مقدراته وإرادته.. وفي مقال نشره (باول) في صحيفة نيويورك تايمز نهاية عام 2003، عاد وأكد لهجة الخطاب السياسي الأمريكي عندما حدد ما اسماه (الحرب على الإرهاب) وان هذه الحرب ستظل الأولوية القصوى في السياسة الخارجية الأمريكية طالما كان ذلك ضروريا، على حد تعبيره.. ويعتبر الخطاب الأمريكي أن هذا التوجه يمثل استراتيجية واسعة النطاق وعميقة، لكن البعض من المحللين الغربيين يرى بأنها تفردية بشكل متعمد وأنها غير متوازنة تحبذ الأساليب العسكرية وأنها تعاني من استحواذ (هاجس الإرهاب) عليها ومنحازة بالتالي إلى جانب الحرب الاستباقية الاجهاضية على الصعيد العالمي.. لكن باول يرد على أصحاب هذا الرأي ويعتبره غير صحيح..

أما رؤية (باول) حول الديمقراطية فتتمثل في التشجيع على ممارستها إلى جانب التنمية والصحة العامة العالمية والحقوق الإنسانية، ولكنه يعود فيذكر بان الولايات المتحدة لن تستطيع العمل طوال الفترة اللازمة لتحقيق ذلك إلا إذا تمت المحافظة على توسيع نطاق سلام عالمي والمحافظة عليه.. ويعترف(باول) في رؤيته بان سياسة حكومة بوش

الخارجية ارتكبت مجموعة من الأخطاء ويعلل ذلك (بأننا بشر وكلنا نرتكب أخطاء)[12]..

7. رؤية (المنافسين والأعداء): وهي الرؤية التي يتبناها كثير من الخبراء والاستراتيجيين الأمريكان، فهناك من يرى أن هذا الخطاب يستخدم لغة اللين مع الاتحاد الأوربي واليابان وروسيا والصين فيدعو إلى الشراكة مع الطرفين الأول والثاني والى استيعاب الطرفين الثالث والرابع من اجل عدم تحولهما إلى دول معادية توسعية، بينما تشتد اللهجة الأمريكية عندما يتعلق الأمر بدول أخرى مثل إيران وكوريا الشمالية وسوريا والسودان (والعراق قبل احتلاله) التي ترد في هذا الخطاب على أنها (دول عاصية) و(محور الشر) تنزع لان تكون عنصر تهديد للمصالح الأمريكية الاستراتيجية أو أنها (دول ارتداد) ارتدت بعنف عن النظام العالمي الجديد، وبحسب هذا الخطاب، فهي تشكل تهديدا للمنطقة وللمصالح الأمريكية على حد سواء[13]..

8. نظرية السيطرة على (قلب روسيا) تبنى هذه النظرية مستشار الأمن القومي الأسبق (زبيغنو بريجنسكي).. فقد حددت هذه النظرية أن من يسيطر على (قلب روسيا) يسيطر على المعمورة بأكملها.. ووفق هذه الرؤية فان الولايات المتحدة سعت خلال الحرب الباردة إلى احتواء هذه المنطقة من خلال السيطرة على الأراضي الطرفية، اليابان وكوريا الجنوبية وتركيا، لذلك يحذر بريجنسكي، بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، من إمكانية تكوين إمبراطورية روسية جديدة ويرى أن المهمة الملقاة على عاتق الولايات المتحدة هي الحفاظ على استقرار المنطقة والحيلولة دون سيطرة قوة واحدة عليها.. وبين بريجنسكي أن الشرق الأوسط هو إحدى البوابات إلى روسيا الوسطى وحسب رأيه فان الجزء العربي في هذه المنطقة لا يؤدي دورا أساسيا لان الأمر منوط بتركيا وإيران، من هنا

فانه لا يتناول الجزء العربي إلا ليذكر بإيجاز مسألة ما اسماه بالمد الإسلامي ويعتبره ظاهرة عاجزة على خلق منطقة نفوذ جيدة تهدد الموقع الجيوستراتيجي للولايات المتحدة على الرغم من قدرة الأصولية الإسلامية، حسب تعبيره، على تهديد المصالح الأمريكية في المنطقة ويخلص إلى القول بان التأثير المحتمل لهذه الحركات إنما ينحصر في تحويل المنطقة إلى بؤرة أضطرابات دورية بسبب عجزها عن تأسيس دولة محور[14].. وللتوسع في رؤيته وإلقاء المزيد من الضوء عليها بعد التطورات الدراماتيكية التي شهدها العالم منذ انتهاء الحرب الباردة نشر بريجنسكي كتابا عن أمريكا وميزان القوى في العالم عكس فيه آراءه حول رصد وتشخيص العوائق والتحديات التي تحول دون تحقيق أمريكا لحلمها في إقامة نظام عالمي جديد يأخذ شكل الحكومة العالمية وتنتظم فيه دول العالم كله خلف أمريكا وتسلم لها بالزعامة المطلقة، وحسب رأيه فان هذا هو الهدف الاستراتيجي لبلاده وهو ما تصبو إلى تحقيقه خلال هذه المرحلة المهمة من تاريخ العالم.. كما أنها تسعى، في حالة تعذر قيام الحكومة العالمية، إلى تحقيق نظام عالمي يأخذ شكل الكونفدرالية العالمية التي تتمتع فيها أمريكا بزعامة عالمية تشاطرها في بعض مظاهرها، بالتراضي، أهم قوتين عالميتين بعدها وهما أوربا واليابان..ويستبعد بريجنسكي أن يتم لأمريكا أي شكل من أشكال الزعامة الحقيقية على العالم لحقبة من الزمن ليست بالقصيرة ويُرجع ذلك إلى سببين أساسيين:

الأول (داخلي): يتعلق بما وصفه تداعي النموذج الحضاري الأمريكي من الداخل..

الثاني (خارجي): يتعلق بموقف القوى العالمية والإقليمية وقوى أخرى رافضة بدرجات متفاوتة للهيمنة الأمريكية وسيطرتها على العالم وبتطلعاتها هي الأخرى للزعامة والنفوذ على المستويين الإقليمي والعالمي.. وقد صنف بريجنسكي القوى العالمية والإقليمية التي ستستمر لفترة قادمة تنازع أمريكا الزعامة والنفوذ إلى ثلاثة أصناف رئيسية[15]:

1. قوى عالمية تنافس أمريكا على الزعامة والسيطرة على العالم ويحددها بريجنسكي في قوتين هما أوربا واليابان..
2. قوى إقليمية كبيرة تنازع أمريكا الزعامة على مستوى قاري أو إقليمي موسع هما الصين وروسيا..
3. قوى إقليمية صغيرة، حسب تعبيره، تنازع أمريكا النفوذ على مستوى إقليمي ضيق، وانطلاقا من نظرة عنصرية ضيقة حدد بريجنسكي أن نموذج هذه القوى: الإسلام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا واسيا الوسطى وإيران والهند.. وآياً كانت دقة هذا التصنيف ورأينا فيه فان الباحث توخى عرضه دون تعليق تاركا ذلك لأراء القراء والباحثين والاستراتيجيين..

8. نظرية صدام الحضارات أما (هنتنغتون) فيضع المسألة في إطار (صدام الحضارات) ويدعو الدول الغربية إلى التضامن فيما بينها، ويسعى ليبدو أكثر وضوحا في طرح نظريته هذه حين نشر في العدد السنوي لمجلة نيويورك الأمريكية مقالا بعنوان (حروب المسلمين) التي وصفها بأنها احتلت مكان الحروب الباردة كشكل أساسي للصراع الدولي.. وهذه الحروب، حسب (هنتنغتون) تتضمن: حروب (الإرهاب)، حروب العصابات، الحروب الأهلية، الصراعات بين الدول... الخ والرسالة التي أراد (هنتنغتون) إيصالها هي (أن العرب يشكلون مصدر الخطر الذي يهدد العالم).. وذهب ابعد من ذلك عندما حاول إظهار العرب والمسلمين

بصورة المتخلفين الذين يضمرون الحقد والكراهية للثقافة وروح العصر[16]..

و (هنتنغتون) يرى بهذه الرؤية (العنصرية والعدوانية) انه حتى لو استعدى العالم كله فانه يسعى إلى منع حدوث مثل هذا الصدام المفترض من قبله بين العرب والإسلام من جهة والغرب والحضارات الأخرى من جهة ثانية وفي ظل ما يسميه مسؤولية العالم العربي والإسلامي عن (الإرهاب) الذي تسبب قبل أحداث أيلول بقتل (299) شخصا في هجوم عابر عام 1983 على معسكرات مشاة البحرية الأمريكية في بيروت وقتل (554) شخصا في الهجمات على سفارتين أمريكيتين في أفريقيا..

ويمكن تلخيص نظرية (هنتنغتون) بان منطق القوة هو الأساس في دفع العالم للاستسلام.. وبالنسبة لمسألة (خلق العدو) التي افترضها (هنتنغتون) في(صدام الحضارات) فان عددا من الباحثين الاستراتيجيين يرون أن هذه النظرية هي إحياء للعدوان في الخطاب السياسي الأمريكي لان (هنتنغتون) يتوقع أن تتضاعف الحروب عند ما اسماها بخطوط التماس الحضارية للعالم الإسلامي لأنه على حد زعمه هو الأشد تطرفا تجاه الغرب..

وفي السياق نفسه يعتبر الباحث والخبير الأمريكي (جيفري كيمب) و(روبرت هركابي) أن الجبهة السورية هي احد محوري الحرب المحتملة، وحسب رايهما فان السيناريو الأفضل للولايات المتحدة وإسرائيل هو الانفراد بسورية كي لا تدخل أي دولة عربية أخرى في الصراع[17]..

ومن الناحية العسكرية فان القواعد الأمريكية المنتشرة في الشرق الأوسط والتي تريد الولايات المتحدة تحويلها، ولو نظريا لحلف

الأطلسي، تكتسب أهميتها من أهمية منطقة الشرق الأوسط وموقعها عند ملتقى القارات الثلاث، وكذلك من أهمية دورها الاقتصادي كمنتج ومصدر للنفط والغاز حيث تعتبرها الولايات المتحدة موقعا مهما من الدرجة الأولى..

فالأهداف الرئيسة للاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط حسب الخطاب الأمريكي هي[18]:

1. إقامة الرقابة على استخراج ونقل الطاقة والسيطرة عليها..
2. تقديم المساعدة لإسرائيل ودعمها بكل الإمكانيات المتاحة..
3. المحافظة على الحكومات التي تسير في ركب السياسة الأمريكية، ولهذا فان أمريكا تبقي بشكل دائم سفن الأسطول السابع في المحيط الهندي عند مداخل الخليج الهندي وسفن الأسطول السادس في البحر المتوسط القريب من مصر وإسرائيل وسفن الأسطول الخامس في الخليج العربي..

سياسة الهيمنة والزعامة الأمريكية على العالم

من خلال قراءتنا لنظريات ورؤى كبار السياسيين والمفكرين والخبراء الأمريكيين، كما مر بنا سابقا ، والتي شكلت القاعدة التي تنطلق منها أيديولوجية الخطاب السياسي الأمريكي يتبين أن هذا الخطاب اعتمد مباديء محددة في تعامله مع المناطق الساخنة في العالم وبما ينسجم والمصالح الاستراتيجية العليا للولايات المتحدة.. هذه المباديء حددها مخططو السياسة الأمريكية منذ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد سعى هؤلاء إلى خلق نظام عالمي تتزعمه الولايات المتحدة يعتمد على القدرات العسكرية والاقتصادية والسياسية الأمريكية وعلى قيم أمريكية خاصة بالشخصية والسلوك الأمريكيين.. وقد شكلت هذه المباديء والقيم جوهر السياسة الأمريكية الخارجية..وفي هذا يقول الخبير الاستراتيجي (جون

لويس غاريس): (إن الولايات المتحدة كانت تتوقع أن تصبح زعيمة النظام العالمي الجديد بعد العام 1945) ويضيف (قلّ بين المؤرخين من ينكر اليوم أن الولايات المتحدة كانت تتوقع السيطرة على المسرح الدولي بعد الحرب العالمية الثانية وأنها كانت تسعى إلى هذا قبل أن يبرز الاتحاد السوفيتي كخصم ظاهر وحاضر)[19]..

واليوم، كما كان الحال بعد الحرب العالمية الثانية، تسعى الاستراتيجية الأمريكية إلى توسيع دائرة التحكم في النظام الدولي عن طريق منع بروز دول عظمى منافسة لها في أوربا وشرق آسيا.. واليوم أيضا يحدد الخطاب السياسي الأمريكي أن الاستراتيجية الأمريكية تعتمد على منطق مؤلف من ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: الاعتماد المتبادل أو(التوافق) هو المصلحة العليا التي تشجعها الاستراتيجية الأمريكية..

الخطوة الثانية: اعتبار عدم الاستقرار تهديدا للاعتماد المتبادل..

الخطوة الثالثة: الردع الموسع هو الوسيلة التي تلجا إليها الاستراتيجية لمواجهة هذا التهديد..

فالهيمنة أو الزعامة، حسب الخطاب الأمريكي، هي استراتيجية واقعية تسعى إلى إدامة السيطرة الجيوسياسية لما بعد الحرب الباردة.. ويعتقد أنصار هذه الاستراتيجية أن على الولايات المتحدة أن تسعى إلى زيادة قوتها النسبية إلى أقصى حد، وذلك لان السياسة الدولية على قدر كبير من التنافسية، وتقوم هذه الاستراتيجية على افتراض أن الدول تكسب الأمن وليس من خلال توازن القوى، بل عِبر اختلال القوى لمصلحتها (أي بسعيها إلى الزعامة)..

وتفترض هذه الاستراتيجية أن للولايات المتحدة مصلحة حيوية في الحفاظ على الاستقرار.. ومن حيث الجغرافيا تنظر استراتيجية الزعامة إلى كل من أوربا وشرقي آسيا والخليج العربي كمناطق تقوم فيها للولايات المتحدة مصالح أمنية حيوية[20]..

وتعد أوربا وشرقي آسيا مهمتين لأنهما يمكن أن تبرز منهما دول عظمى جديدة وان تندلع فيهما في المستقبل حروب بين الدول القوية، حسب تعبير (غاريس) الذي يضيف بان الخليج العربي مهم بسبب وجود النفط فيه..

ويرى الخطاب الأمريكي أن الضمانات الأمنية الأمريكية لأوربا وشرقي آسيا هي الوسيلة التي تحافظ بها استراتيجية الهيمنة والزعامة على نظام سياسي دولي سليم يؤدي إلى الاعتماد المتبادل..

ويرى مناصرو ومخططو هذه الاستراتيجية أنها ذات حظ من الاستحسان بالحدس والمنطق، أما القوة فمهمة جدا في السياسة الدولية وللولايات المتحدة الحظ الأوفر منها، ويعتبرون أن لا أفضل من أن تكون أمريكا هي القوة العظيمة الوحيدة في عالم أحادي القطب[21].. لكن أصحاب الرأي الآخر يرون أن الاعتقاد بان أمريكا يمكن أن تكون زعيما ناجحا هو اعتقاد شخصي خاطيء، فما من دولة تستطيع احتمال إقامة أمنها على الثقة بالنوايا الطيبة للآخرين، لان النوايا تزول بسرعة ونوايا اليوم السليمة يمكن أن تتحول غدا إلى نوايا شريرة، ولهذا السبب تقيّم الدول استراتيجياتها على تقديرات إمكانيات الآخرين، أي ما لديهم من قوة فعلية كافية[22]..

والذي يقلق الدول الأخرى هي القوة الهائلة لدولة ما تريد أن تكون زعيمة ومهيمنة.. وكون أمريكا ذات قوة لا تكبح (حتى الوقت الحاضر) هو الذي يرى فيه الآخرون مصدر قلق لهم.. وإذا عدنا إلى تحليل (بريجنسكي) يتبين أن الرعب الذي يبثه في قلوب الآخرين زعماء طامحون يفسر إلى حد بعيد سبب عدم تمكن أمريكا من منع قيام دول عظمى جديدة وبالتالي عدم

قدرتها على إقامة الحكومة العالمية.. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أيضا أن الشواهد التاريخية تدلل على أن ظهور زعيم طامح يعتبر عاملا مساعدا قويا في ظهور دول عظمى جديدة..

وبهذا المعنى يمكن أن يكون قيام مثل هذه الدول بمثابة رد فعل دفاعي إزاء تهديد الدولة الزعيمة، وبهذا المعنى أيضا يمكن أن نفهم سبب حرص الولايات المتحدة على عدم ظهور زعيم طامح.. والمفارقة في الأمر هي أن هؤلاء يرون عدم وجود سبب قاهر للاعتقاد بان الولايات المتحدة سوف تستثنى من هذا المصير.. ففي السنوات العشر القادمة أو العشرين القادمة سوف تقود سياسة الهيمنة الأمريكية إلى ظهور دول طامحة كالمانيا واليابان والصين (وربما تعود روسيا أيضا إلى الظهور من جديد) كدول عظمى قادرة على العمل كقوة توازي قوة الولايات المتحدة وبالتالي منافستها على خلق معطيات جديدة في السياسة الدولية[23]..

الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط

من خلال تناولنا لاستراتيجية الخطاب السياسي الأمريكي تجاه سياسة الهيمنة الأمريكية والقوى الدولية التي تنازع الولايات المتحدة، السيطرة والنفوذ على العالم فان (بريجنسكي) وباحثين استراتيجيين آخرين أمثال (انطوني لابك) و(هنري كيسنجر) و(صموئيل هنتنغتون) و(فوكوياما) و (روبرت هركابي) يرون أن النفط وإسرائيل هما المحوران الأساسيان للسياسة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط كونهما يمثلان المصالح الاستراتيجية العليا للولايات المتحدة.. فبالنسبة للمحور الأول يعتقد (فوكوياما) أن ثمة أمرين من شأنهما أن يبررا تدخل ما اسماه (بعالم ما بعد التاريخ) في (عالم التاريخ) وهما النفط والهجرة. وفي تصور مماثل يؤكد

(جيفري كامب) و (روبرت هركابي) الأهمية الاستراتيجية لنفط الخليج العربي[24]..

أما فيما يتعلق بمبدأ الدفاع عن إسرائيل، الذي يمثل المرتبة الأولى في سلم الاولويات الأمريكية، فان الخطاب السياسي الأمريكي ينظر إليها على أنها (دولة ديمقراطية) على غرار الديمقراطية الغربية وأنها موقع متقدم للحضارة الغربية، وان العداء لإسرائيل هو التعبير الواضح عن الشك بالقيم الأمريكية وفضائلها بشكل خاص[25]..

استنادا إلى هذا فان استراتيجية الخطاب السياسي الأمريكي تتعامل مع الشرق الأوسط على انه يضم دولا محورية تشكل قاعدة أساسية للنفوذ الأمريكي ودولا محورية نقيضة تشكل تهديدا للمصالح الأمريكية، لذلك يدعو الباحث والخبير (كنيدي) الولايات المتحدة أن تتبنى سياسة انتقائية في علاقتها بالدول النامية وان تحشد طاقاتها في دعم الدول المحورية بدلا من أن تبعثر اهتمامها عبر المعمورة بأسرها.. ويرى الخطاب الأمريكي أن مصر دولة محور في الشرق الأوسط إلى جانب تركيا، لأنها، حسب تعبير الخطاب، وظيفة للاستراتيجية الأمريكية، فالسلطة فيها قادرة على احتواء المد الإسلامي ، حسب تعبير كنيدي، ودبلوماسيتها تركز جهودها على استمرار ديمومة الحياة لعملية السلام مع إسرائيل، لذا يرى (كنيدي) أن سقوط هذه السلطة من شانه أن يؤدي إلى انتشار الفوضى السياسية وبالتالي إلى امتداد النفوذ الإسلامي إلى بلدان أخرى في الشرق الأوسط والى سقوط عملية السلام واتساع دائرة الأنظمة المعادية والمهددة للمصالح الأمريكية[26]..

مقابل هذه الرؤية فقد سعى (هنتنغتون) إلى وضع حد للجدل القائم حول موقع مصر، فحسب رأيه، ليس لمصر مقومات المركز وبنظره فهي

لاتملك مقومات الدولة المركزية ، وأشار إلى تركيا واندونيسيا على أنهما دولتا مركز لتوفر عناصر التنمية فيهما[27]..

وفي نفس الاتجاه سار (بريجنسكي) الذي ذهب إلى حد تغييب دور مصر والدول العربية، فاعتبر تركيا وإيران دولتان محوريتان في المنطقة بسبب تأثيرهما على (قلب روسيا)..

أما بالنسبة لدول المحور النقيضة أو (العاصية)، على حد تعبير الخطاب الأمريكي، فهناك تباين في أسلوب هذا الخطاب ويمكن تلمس ذلك في استراتيجية الاحتواء الأمريكية إزاء هذه الدول[28]:

1. فالدول المطلوب احتوائها رسميا، حسب قائمة الإدارة الرئاسية الأمريكية، كانت تضم في الأساس: العراق (قبل احتلاله) وليبيا (وقد حصل جدل تجاهها بعد مواقفها الأخيرة) وإيران وكوريا الشمالية، أما الدول المطلوبة حسب قائمة أعضاء الكونكرس الموالين لإسرائيل فتضم بالإضافة لما ورد، سورية والسودان.. ويطالب هؤلاء بضمهما إلى ما يسمونه الدول الداعمة للإرهاب.. أما بريجنسكي فيعتبر بان المصالحة مع إيران ضرورة جيوستراتيجية لضبط آسيا الوسطى..
2. إن التعامل مع ما يسميها الخطاب الأمريكي بالدول العاصية يكمن في مبدأ الاحتواء الذي يرمي إلى عزل القوة الإقليمية باستخدام النفوذ السياسي والاقتصادي لمنع مجرد الاقتراب منها..

وحول استراتيجية منع انتشار أسلحة الدمار الشامل حتى لا تقع بأيدي الدول والمنظمات المهددة للمصالح الأمريكية ، حسب الخطاب الأمريكي، فمن وجهة نظر (اليوت برانر) تبقى (الدول العاصية) وما يسميه هذا الخطاب بالمنظمات (الإرهابية) هي المستهدفة..

تقرير فريق العمل الأوربي- الأمريكي حول الشرق الأوسط

واستكمالا للموضوع نجد أن ابرز ما يميز الخطاب الأمريكي لمرحلة الألفية الجديدة تجاه منطقة الشرق الأوسط قد ورد في تقرير أعده فريق عمل أمريكي – أوربي برئاسة (هنري كيسنجر) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق وعضوية(26) شخصية أمريكية وأوربية بارزة إلى الرئيس بوش يتضمن انتقادا قاسيا لاستراتيجية أدارته وخططها في منطقة الشرق الأوسط.. وصدر هذا التقرير عن (مجلس العلاقات الخارجية) الأمريكي المعروف ويحمل عنوان (إحياء الشراكة الأطلسية).. ولأهمية إطلاع القاري والباحث العربي على هذا التقرير كونه يمثل أجمالا عاما لمعظم اتجاهات الخطاب الأمريكي سيتم تناوله بصيغة مركزة ومباشرة لعكس هذه الاتجاهات[29]:

1. دعوة الرئيس بوش إلى القيام بعملية نقد ذاتي والاعتراف بان الولايات المتحدة لن تتمكن من النجاح وحدها، سواء في العراق أو في منطقة الشرق الأوسط أو في أي منطقة من العالم وفي أي قضية كبرى أخرى، وأنها تحتاج إلى حلفاء ودعم أوربي لتشكيل تحالف من عدة دول لمواجهة الأخطار والتحديات المختلفة في الشرق الأوسط والعالم..
2. أن يكون التعاون بين الولايات المتحدة وأوربا مبنيا على أساس التكامل لا التنافس مع تجاوز مرحلة الخلافات حول الحرب ضد العراق..
3. تخلي الولايات المتحدة عن اعتمادها على القوة العسكرية وحدها وعلى تفوقها العسكري لان القوة وحدها ليست كافية للنجاح وتحقيق النصر والعمل على تعزيز الديمقراطية ونشرها والدفاع عن حقوق الإنسان..
4. وضع استراتيجية موحدة بين الولايات المتحدة وأوربا تتضمن تحديد شروط استخدام القوة العسكرية ضد الدول الأخرى، عربية وأجنبية، سواء لمكافحة (الإرهاب) أو لوقف انتشار أسلحة الدمار الشامل أو لمنع قيام

تعاون خطر ومدمر بين ما اسماه التقرير بالتنظيمات الإرهابية والدول غير المسئولة..

5. قيام إدارة بوش بالعمل على التوصل إلى اتفاق موحد مع أوربا وحلف الأطلسي حول الشرق الأوسط لان هذه المنطقة تؤثر على الأمن والاستقرار والنمو في العالم الغربي أكثر من أي منطقة أخرى ولأنها تحتوي على اكبر احتياط للنفط والغاز في العالم..

6. تسعى الولايات المتحدة وأوربا على تركيز الجهود على قضايا رئيسية أربع هي:

أ. إنقاذ العراق من الانهيار وضمان الأمن والاستقرار في هذا البلد وإقامة نظام شرعي جديد مستقر فيه وإعادة أعماره.. ويتفق التحليل لكلا الجانبين أن انهيار العراق (لا سمح الله) ستكون له عواقب وخيمة وخطيرة على سائر دول المنطقة والعالم وليس فقط على أمريكا، لذلك يدعو الجانبان إلى وضع العراق تحت المسؤولية العسكرية لحلف الأطلسي بصورة مؤقتة..

ب. منع إيران من امتلاك السلاح النووي بأي ثمن وتشجيع الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في هذا البلد، ويدعو الجانبان روسيا للتعاون معهما لتنفيذ هذه الاستراتيجية..

ج. الاتفاق على خطة موحدة مشتركة لتسوية ما اسماه التقرير بالنزاع الفلسطيني الإسرائيلي، وهو ما يتطلب أن يتخذ المسئولون الأمريكيون خطوات عملية محددة للعمل على إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة والاستمرار..

د. تخلي أمريكا عن أية خطط لديها لفرض الإصلاحات على الدول العربية وقيامها مع الدول الحليفة بجهود مشتركة لمساعدة دول

الشرق الأوسط على تحسين وتطوير أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وذلك لتجنب نشوب نزاعات داخلية في عدد منها..

الخطاب السياسي الأمريكي واحتلال العراق

أما بالنسبة لاحتلال العراق فان الخطاب السياسي الأمريكي توسع كثيرا في التحدث عنه، ولكن لأغراض الدراسة هذه سيشير الباحث إلى ابرز اتجاهات هذا الخطاب:

يعترف محللون غربيون أن الحرب على العراق واحتلاله عام 2003 لم تكن حربا تكتيكية بأي حال من الأحوال، بل هي استراتيجية وفقا لجميع المعايير.. ويوضح هؤلاء بأن هذه الحرب كانت من اجل النفط والسيطرة الأمنية وحسم الصراع الثقافي وإعادة رسم الخرائط السياسية والأيديولوجية وإعادة النظر جذريا في العلاقات الدولية للمرحلة الممتدة من الحرب العالمية الثانية إلى الوقت الحاضر، بالإضافة إلى تثبيت أقدام إسرائيل في الشرق الأوسط ليس فقط كدولة إنما كلاعب رئيس في تقرير شؤون المنطقة برمتها..هذه هي باختصار شديد أهداف الولايات المتحدة من غزو العراق والتي عبر عنها الخطاب السياسي الأمريكي كما سنلاحظ ذلك في سياق الحديث[30]..

من هنا فان هذه الحرب ليست فقط منازلة بين الجيوش، إنما هي منازلة استراتيجية لها تفرعات وتداعيات تمس جميع مظاهر الواقع العربي والإقليمي والدولي بكل هيكليا ته المتداخلة والمتبادلة التأثير..

لقد كُتب عن هذا الموضوع مقالات ودراسات وكتب غربية كثيرة عكست حقيقة أهداف الحرب الأمريكية على العراق وأشارت هذه المصادر إلى ابرز هذه الأهداف وهي احتلال هذا البلد وإسقاط نظامه وما ترتب على ذلك من تدمير لمؤسسات الدولة فيه ومرافقها كافة والعبث في وثائقها أو حرقها

وحل الجيش ومؤسسات الأمن الوطني والتأسيس لنظام حكم طائفي وإشاعة الفوضى في البلاد وحرمانها من الأمن والاستقرار لفترة طويلة وسرقة ثرواتها عبر مشاريع وهمية أو غير منتجة وخلق الأجواء لانتشار الفساد الإداري والترويج لتجارة القتل والحرق والسلب والتخريب والمخدرات... إلى غيرها من الأعمال التي تصب كلها في هدف استراتيجي مركزي هو إنهاء الدولة العراقية ومحاولة قتل الروح الوطنية والقومية لدى أبنائها وإعادة بنائها وتأسيسها من جديد على أسس مغايرة لما تربى عليه العراقيون الشرفاء أصحاب التاريخ والحضارة من قيم وطنية وعربية وإسلامية نبيلة، وذلك من اجل خلق جيل جديد يؤمن بالمباديء والقيم الغربية المؤسسة على الفكر الصهيوني والماسوني ويقبل بالتعايش مع إسرائيل كأمر واقع ومفروض[31].. ولأغراض بحثنا هذا سنشير إلى ثلاث دراسات أمريكية، على سبيل المثال لا الحصر، تناولتا مسألة التعامل مع حرب العراق: أسبابها، خلفياتها، أهدافها ودوافعها الاستراتيجية..

الدراسة الأولى أعدها (تشارلز ويليام مينز) رئيس تحرير مجلة السياسة الخارجية الأمريكية والثانية أعدها الدكتور (جون شتاينبر) مدير معهد (بركنز) لدراسات السياسة الخارجية، والدراسة الثالثة أعدها ونشرها (هنري كيسنجر) عام 1992..

عنوان الدراسة الأولى (عنوان رئيسي في واشنطن: هل الحرب ضرورية) والثانية تحت عنوان (نتائج فرض النظام العالمي الجديد وفق جدول زمني محدد).. ويؤكد مضمون الدراستين أن إعلان الرئيس بوش الحرب على العراق لم يكن نتاجا مباشرا لأحداث أيلول / سبتمبر، كما يذهب إلى ذلك بعض المحللين الاستراتيجيين، إنما هي مشروع خطط له قبل الحرب على العرق عام 1991 بعشر سنوات..

فالحرب على العراق عام 2003 تم برمجتها بعد تفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط التوازن الدولي الهش مباشرة.. في هذه الفترة بالذات اقتنعت أمريكا بان السياسة التقليدية المؤسسة على الاحتواء والردع لم يعد معمولا بها، فاستبدلتها بسياسة الهجوم والضربات الاستباقية، وحسب الدراستين، فان الأسلوب الأمريكي الجديد هو خرق الشرعية الدولية، فبعد الانتهاء من حرب عام 1991 قامت الولايات المتحدة بعقد مؤتمر مدريد لحل القضية الفلسطينية على مضض، وبتكتيك لامتصاص غضب الشارع العربي ولمكافأة الأنظمة العربية التي تحالفت معها عسكريا وإنقاذها، ولكن هذا العرس المغشوش سرعان ما تم تدميره وذلك باغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين قبل أن يوقع أي اتفاق سلمي جدي.. ولقد اتبعت أمريكا سيناريو الخطوة خطوة، وذلك بعدم إدراج قضية الجولان السوري أو الجنوب اللبناني ضمن الحل الوهمي الذي لوحت به، وتستمر الأحداث التي لن نخوض فيها هنا لكننا نقول أن هذا السيناريو قد سحب البساط من الدول العربية التي تحالفت عسكريا مع أمريكا ضد العراق وجعلت المكافأة التي لوحت بها من قبل مجرد سراب ووهم..

وعلى الصعيد نفسه عملت الإدارة الأمريكية على تطبيق تكتيك جديد من اجل إعداد الخطط لاحتلال العرق، تمثل بفرض مناطق الحظر الجوي في شمال العراق وجنوبه وفرض حصار ظالم لم يشهد له التاريخ مثيلا ضد الشعب العراقي وبمباركة هؤلاء الزعماء العرب الذين سيحاسبهم الله والتاريخ على فعلتهم هذه، لان ما أسفر عنه هذا الحصار الأشد إيلاما وقسوة في التاريخ هو موت وتشريد الملايين من أبناء هذا الشعب المجاهد الذي لم يبخل يوما في تقديم الغالي والنفيس من اجل أمته، وترافق هذا مع تطبيق استراتيجية الضربات العسكرية المستمرة واستخدام اليورانيوم المنضب (المستنفد) ضد الأهداف الحيوية العراقية والسكان المدنيين على حد سواء

لإحداث خسائر كبيرة بين المواطنين وتلويث البيئة العراقية بالإشعاعات النووية الناتجة عن استخدام هذه الأسلحة(**)..

وترى هاتان الدراستان أن هذا الاحتواء لم يسفر عن حدوث مجاعات أو ثورة شعبية أو عصيان مدني، الأمر الذي جعل الأمريكيون يطورون خططهم لاحتلال العراق مع الإبقاء على سياسة الاحتواء، وجاءت أحداث أيلول، التي تشير مصادر مطلعة أن الإدارة الأمريكية على علم بها أو بجانب منها، كي تتخذ منها ذريعة لإيهام العالم، والشعب الأمريكي خاصة، بوجود علاقة بين العراق وتنظيم القاعدة، ثم برز الادعاء بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل التي أثبتت الأحداث وعمليات المفتشين الدوليين بالعراق كذب هذا الادعاء وبطلانه..

وهنا نتوقف قليلا لنشير إلى أن هذه التطورات التمهيدية للحرب على العراق واحتلاله شهدت موافقة معظم الأنظمة العربية أيضا على مبدأ تجريد العراق من أسلحته الاستراتيجية بالكامل ولم تشترط أن يتم ذلك على الأقل بالتزامن مع نزع أسلحة إسرائيل الاستراتيجية كحل شامل لسباق التسلح في المنطقة وإخلائها من جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل، وإقرار الدولة الفلسطينية وفق حدود ما قبل حرب 1967 وإخراج القوات الإسرائيلية من مرتفعات الجولان ومن جنوب لبنان وفي إطار جدول زمني محدد وشامل ووفقا للشرعية الدولية والأمم المتحدة.. لقد كان الموقف العربي المتردد وراء عدم حسم هذه المعضلات الحيوية وبالتالي لا بد من القول أن أمريكا قد نجحت فعلا في جعل الأنظمة العربية تستبدل المصير المشترك الممهد بالوعود الجزئية التي ليست من صلب القضية الكبرى للعالم العربي الإسلامي، وهكذا تم تحييد إسرائيل وإخراجها من لعبة تدمير أسلحتها

التدميرية الشاملة.. تلك هي باختصار الإخفاقات العربية التي أدت إلى وقوع الحرب على العراق دون شرعية دولية..

فالأنظمة العربية مقتنعة تماما أن أمريكا لها مخططات اكبر من تغيير النظام في العراق أو البحث عن أسلحته، ولكنها رغم ذلك نجدها تتفرج على هذه التحولات الخطيرة التي ستطالها في يوم من الأيام طال الوقت أم قصر لكننا ندعو الله أن يحفظ شعوبنا العربية والإسلامية من كيدهم وخططهم..

وهنا نشير إلى ما جاء في دراسة (تشارلز ويليام ما ينز) الذي يؤكد بان الإدارات الأمريكية ومخططي استراتيجياتها لا يخفون أبدا إطماعهم النفطية في الشرق الأوسط، كما أن أمريكا لا تفشي سرا بان النظام الدولي الذي تريد تأسيسه مشروط بالهجوم العسكري على أي نظام يختلف معها في المسائل المتعلقة بمصالحها، وتستبعد اللجوء إلى الحوار في إطار المؤسسات القانونية والسياسية والاقتصادية الإقليمية والدولية..

الحرب من أجل إسرائيل

وفي عنوان فرعي من دراسته هو (الحرب من اجل إسرائيل) ابرز (ماينز) ما يأتي:

يمثل امن إسرائيل احد الأسباب الرئيسية للحرب، إذ اتخذ عدد من أنصار إسرائيل الأقوياء في الولايات المتحدة قرارا باستغلال ألازمة لتعزيز الأمن الإسرائيلي، ومنذ بدء تطبيق سياسة الحصار على العراق عام 1990 عارض هؤلاء سياسة العقوبات الاقتصادية، لأنهم كانوا يرون أن أقصى ما يمكن أن تحققه على المدى القريب هو تحرير الكويت، حسب الدراسة التي تشير إلى أن هؤلاء أصروا على أن تواصل الولايات المتحدة سياسة الاحتواء وعدم رفع الحصار حتى بعد انتهاء الحرب عام 1991 دون أن تحقق الأهداف التي كانوا يتوخونها وهي تدمير العراق بشكل كامل وإسقاط نظامه، وهكذا يتأكد لنا بان الحرب على العراق عام 2003 وتدميره كانت

بتشجيع ودعم اللوبي الصهيوني في أمريكا حتى قبل دخول العراق الى الكويت عام 1990، وهذا يعني أن مشكلة الكويت لم تكن سوى مسوغا وفرصة أما المخططات فكانت جاهزة منذ سنوات تنتظر التنفيذ العملي وعلى أساس أن إدارة الرئيس بوش قد قبلت مشروع اللوبي الصهيوني، وهو استبدال الحصار الاقتصادي بالحرب المباشرة..

أما دراسة (جون د. شتانبر) فهي تقييم لنتائج ما أسمته بحرب الخليج الثانية أو (عاصفة الصحراء)..

أما الدراسة الثالثة التي أعدها (كيسنجر) ونشرها في (نيويورك تايمز) عام 1992، فهي توضح البعد الاستراتيجي للخطاب الأمريكي في تعامله مع مسألة احتلال العراق، فقد ذكر (كيسينجر) أن حربي الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية) والثانية (العدوان الثلاثيني على العراق عام 1991) لم تحققان اهدافهما الاستراتيجية العليا للولايات المتحدة، لذلك دعا صراحة إلى شن حرب ثالثة على العراق تحقق فيها الولايات المتحدة أهدافها التي ذكرها وهي:

إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط من جديد كي تتلاءم مع المصالح الاستراتيجية العليا للولايات المتحدة وتحقيق أمنها القومي على الصعيدين الإقليمي والدولي من خلال احتلال العراق بالكامل وإسقاط نظامه والسيطرة على نفطه ونفوط المنطقة وحماية امن إسرائيل، وهذا يتطلب، حسب رؤيته، إقامة نظام ليبرالي في العراق يؤمن بما اسماها القيم الديمقراطية الغربية[32]..

تقسيم العراق

ولو عدنا إلى مسالة تقسيم العراق في الخطاب الأمريكي لوجدنا أن ما تقوم به قوات الاحتلال حاليا هو جزء من استراتيجية تقسيم العراق وتفتيته ،

فالمعروف أن العراق كان في السابق دولة منفتحة يتعايش مواطنها بإخوة ومحبة دون تمييز أو تفريق سواء على الصعيد الجماهيري أو على المستوى الرسمي والوظائف الحكومية التي شاركت فيها نخب متعددة تمثل جميع أطياف الشعب العراقي حتى على مستوى القيادات العليا والوسطى سواء أكانت مدنية أو عسكرية أو تابعة لمؤسسات الأمن الوطني ونحن نتحدى من يقول غير ذلك كما كان الناس يتعايشون في أحياء مشتركة تضم السنة والشيعة والكرد والمسيحيين والصابئة واليزيديين وغيرهم تجمعهم محبة العراق والوحدة الوطنية الصميمية وكانوا يتزاوجون فيما بينهم ويتعايشون مع بعضهم لا يفرقهم مفرّق مهما كان عصيبا، أما ألان فان العراق يمزقه العنف وتمزقه سياسة التمييز والتفرقة التي تعتبر من ابرز افرازات الاحتلال، ويحذر تقرير جديد من الخبير في الشؤون العراقية (جوست هيلترمان) أعده لمجموعة ألازمات الدولية، وهي منظمة بحثية مقرها بروكسيل، من أن على الولايات المتحدة أن تستعد لمواجهة احتمال تقسيم العراق إلى ثلاثة أجزاء أو أكثر بسبب العنف الذي كان نتيجة مباشرة للاحتلال الأمريكي، ويرد مسئول أمريكي، لم يكشف عن اسمه، أن الولايات المتحدة ليست في حاجة إلى تحذير من وقوع هذه الكارثة، فهي التي تسعى إليها للقضاء نهائيا على ما تبقى من دولة العراق الموحدة القوية[33].. وآخر ما طالعنا في هذا المجال هو قرار مجلس الشيوخ حول تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات طائفية: كردية في الشمال وسنية في الوسط وشيعية في الجنوب ودعوات لتقسيم العراق إلى أقاليم في الوسط والجنوب إلى غيرها من المشاريع المشبوهة كقانون النفط والغاز الجديد الذي نظم على أساس توزيع الأرباح حسب النسب السكانية لكل إقليم أو منطقة منتجة للنفط حيث لا تتعدى الأرباح المتبقية للحكومة المركزية الثلاثين بالمائة من المجموع الكلي للأرباح العائدة من بيع النفط العراقي....

ويعترف احد المسئولين في الخارجية الأمريكية، بان واشنطن قد شنت الحرب على العراق لأنه يشكل إزعاجا لإسرائيل، ويؤكد هذا المسئول: (أن الضمانة الوحيدة لإزالة عنصر الإزعاج هو الإجهاز على الدولة العراقية وتحويلها إلى كيانات طائفية متصارعة تستنزف طاقة بعضها البعض ولا تمثل مصدر قلق لدينا)[34]..

ويقول مستشار آخر للإدارة الأمريكية انه كان يحث الولايات المتحدة على تشجيع عملية تقسيم العراق..

المستنقع العراقي

ومع كل ما حصل في العراق لابد أن نشير هنا إلى إحدى المفاجآت الاستراتيجية غير السارة بالنسبة للاحتلال الأمريكي، فنقول: إن ما كان يقال في واشنطن أن غزو العراق سيصبح نموذجا لغزو دول أخرى قد تلاشى وتبخر وتحول إلى وهم كبير، فإذا بالغزو يتحول إلى كابوس بالنسبة للولايات المتحدة نتيجة الضربات الموجعة للمقاومة الوطنية العراقية والرفض الشعبي لهذا الاحتلال، ناهيك عن تكاليف الحرب الأمريكية الباهضة في العراق والتي تقدر بأكثر من (357) مليار دولار ترتفع كل شهر بما يزيد على سبعة مليارات، وتؤكد هيئة أبحاث الكونكرس أن النفقات الشهرية للحرب ستزيد وتصل إلى 9,8 مليار شهريا بعد أن كانت في العام الماضي 8,6 مليار دولار شهريا ، وإذا استمرت القوات الأمريكية في العراق حتى عام 2010 فان التكاليف سوف تتجاوز تريليون دولار، أي ألف مليار دولار!!

وقد دفعت هذه الحقيقة الكثير من مؤيدي الحرب على العراق إلى التراجع عن موقفهم ومنهم البروفيسور (فوكوياما) الذي سبق أن طالب الرئيس

السابق كلينتون في عام 1998 بإسقاط النظام العراقي.. يقول (فوكوياما): (الآن ثبت أن الحرب في العراق كانت خطأ وقع نتيجة لأوهام)[35]..

فكل ما سوقته الإدارة الأمريكية لحربها على العراق قد فشل فشلا ذريعا، بدءا من أسلحة الدمار الشامل وانتهاء بتحرير العراق وإقامة نظام ديمقراطي، فيما النتائج ليست بعيدة عن العين، حيث الموت اليومي ونذر الحرب الأهلية وحيث تقف المنطقة برمتها على مفترق طرق جديد وحيث سقوط الأكذوبة الأكبر القائلة (أمريكيا) بان العالم أصبح أكثر أمنا بعد غزو العراق..

وحول الوصف الذي أطلقته وزيرة الخارجية الأمريكية (كونداليزا رايس) بـ (الفوضى البناءة)[36] فان العديد من المحللين أصبحوا على قناعة تامة بان الإدارة الأمريكية لم تكن تملك بأي حال من الأحوال رؤية واضحة للتعامل مع الملف العراقي وان هذا المصطلح لم يكن إلا اختراعا ناتجا عن فشل السياسات الأمريكية في العراق، أمنا واستقرارا، وإعادة أعمار وغير ذلك من المفردات التي طالما قامت الإدارة الأمريكية بتسويقها، فبعد إعلان الرئيس بوش، بعد أسبوعين من احتلال العراق، انه انتصر في هذه الحرب، نجد أن الحرب الفعلية كانت قد بدأت حينذاك وظلت هكذا، حيث لم تفلح الإدارة الأمريكية في حماية احد بما في ذلك جنودها، وتحولت القوات الغازية إلى قوات أمنية لضمان امن وحياة الجنود الأمريكيين، رغم استخدام مختلف أنواع الأسلحة الأكثر فتكا في العالم، بما في ذلك الطائرات والصواريخ والأسلحة المحرمة دوليا..

كما أن الحرب الأهلية في العراق، تطلّ عبر النتائج أيضا، وقد غدت أمرا واقعا، أما الحرب الأخرى المسماة حرب الجثث، حيث القتل الطائفي والعرقي، يغذي الموت الذي يطال المئات يوميا، وفي كلتا الحالتين ينفض

الأمريكيون أيديهم ليقولوا أنهم لن يتدخلوا في حرب أهلية فيما إذا اندلعت..!!!

والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا حصل كل هذا في العراق ومن المسئول عن ذلك؟ وفي إجابة عن هذا السؤال يقول البروفيسور (ها وارد زين) اشهر مؤرخ أمريكي:

إن دروس حرب العراق تبدأ مع التاريخ الأمريكي وعلينا أن نواجه بعض الحقائق التي تزعج فكرة (الأمة الطاهرة) بشكل فريد، يجب أن نواجه تاريخنا الطويل في التطهير ألاثني، الذي هجّرت فيه حكومة الولايات المتحدة ملايين الهنود من أرضهم بواسطة المذابح وعمليات الإخلاء، يجب أن نواجه تاريخنا الطويل وهو ما زال حاضرا، من العبودية والتفرقة والتمييز العنصري، ويجب أن نواجه الذاكرة الطويلة الأمد لهيروشيما وناغازاكي، وهو تاريخ لا يمكن أن نفتخر به[37]..

وإذا كان هذا المفكر الأمريكي غائبا عن نشر أفكاره أثناء الاستحضارات العسكرية والسياسية والأمنية تمهيدا لغزو العراق فان آخرين كانوا ضمن السلسلة القيادية في جانبها ألتنظيري لهذا الغزو.. يحرضون عليه، أما اليوم فلنرى ماذا يقولون:

فعشية الذكرى الرابعة للحرب على العراق واحتلاله وفي مقابلات صحفية مع العديد ممن حرضوا الرئيس بوش على غزو هذا البلد ووفروا إطار العمل الفكري والآلية السياسية والإعلامية لحملته العسكرية، يقرّون بأنهم كانوا على خطأ، ولكن ماذا يفيد هذا الإقرار بعد خراب البصرة كما يقال..

المهم أن هذه المقابلات تكمن أهميتها، في أنها تعكس خيبة أمل الذين دعموا الغزو وأيدوه، وكذلك تعكس القصور الفكري والسياسي الذي يتمتعون به، وهم في مواقع يفترض أنها تستند إلى عناصر تتمتع بقدرات غير

عادية، خاصة وأنها تشارك في صنع قرارات تؤسس للنجاح أو الفشل في دولة تتطلع إلى السيطرة على العالم في كافة المجالات خاصة الاقتصادية منها..

فهذا الصحفي (ويليام بكلي) الذي يتمتع بنفوذ في إدارة الرئيس بوش، يقول: بأنه لا يساوره أدنى شك في إخفاق الغرض من الحرب على العراق.. ويذكر: أن الحرب أثبتت عدم قدرة جيش مؤلف من 130 ألف جندي أمريكي في احتواء ما اسماها (الأعمال العدائية) في إشارة لعمليات المقاومة العراقية، مشيرا إلى انه يتعين الآن انتهاج خطط بديلة، ويعترف صراحة: (جوهر القول هو الإقرار بالهزيمة)[38]..

أما (فرنسيس فوكويا ما) صاحب نظرية (نهاية التاريخ) والمروج لفكرة إسقاط النظام العراقي فيقول: (إن الإدارة الأمريكية بغزوها للعراق خلقت وضعا تنبأت انه سيحدث، وحلّ العراق الآن محل أفغانستان كمركز جذب وارض مثالية للتدريب وقاعدة لعمليات المسلحين في ظل وفرة من الأهداف الأمريكية التي يمكن تصويب النيران عليها)[39]..

ويذكر (ريتشارد بيرل) احد ابرز المتطرفين ودعاة الحرب في إدارة المحافظين الجدد: (إن إدارة بوش ناقشت الحملة العسكرية وتبعاتها السياسية، وقد أصابت فيما يتعلق بالحرب وأخطأت في تبعاتها)[40]..

المحرر اليميني (جورج ويل) في صحيفة (واشنطن بوست) يلخص الوضع في العراق بقوله: (منذ احتلال العراق وحتى ألان لا يزال من غير المؤكد ما إذا كان العراق قد أصبح امة، وبعد عمليتين انتخابيتين واستفتاء على الدستور أصبح للعراق بالكاد حكومة)[41]..

أما الناقد والكاتب (اندرو سولي فان) فيقول: (لقد تعلم العالم درسا قاسيا، إلا انه كان اشد قسوة على عشرات آلاف القتلى العراقيين الأبرياء مقارنة بمجموعة المثقفين الذين تعرضوا للإذلال)..ويعترف (سولي فان):

(الاستجابة الصحيحة ليست في المزيد من اللف والدوران بل في الإحساس بالعار والحزن)[42]..

في المحصلة، فان خلاصة هذه المقابلات تقول: إن إخفاقات غزو العراق كانت نتيجة مباشرة للطريقة التي تقرر بها الغزو في المقام الأول، إذ لا يمكن الفصل بين الاثنين كما لو كان احدهما نتيجة قرار والآخر نتيجة مجموعة مختلفة من الافتراضات التي عبر عنها البعض من السياسيين والمفكرين الأمريكيين والتي خلاصتها : إن الولايات المتحدة ذهبت إلى الحرب وتبعتها بريطانيا استنادا إلى اعتقاد بان تغيير النظام في العراق قد يُمكن استخدامه كنموذج في إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط بأسرها..

ويعترف (نيغروبونتي) السفير الأمريكي الأسبق بالعراق بالفشل فيقول: (إن الفشل الأمريكي في العراق قد يدفع نحو سيناريو حرب أهلية تصل بالعراق حد التقسيم، وحين يحدث ذلك ستدب الفوضى في المنطقة، بينما يمكن أن تنتقل عدوى التقسيم إلى السعودية وبلدان أخرى)[43]..

وفي ضوء الأحداث والتطورات المأساوية في العراق لم يعد بأمكان الولايات المتحدة أن تخفي أن ديمقراطيتها الموعودة للعراقيين تحولت إلى موت يومي، فالكاتب الأمريكي (فولر) الذي يعرف ماذا فعلت حكومته في أماكن أخرى من العالم، يسوق الدليل التالي على مدى تورطها في مسلسل الموت اليومي الذي يعصف بالشعب العراقي من قتل واغتيالات وزرع لبذور حرب أهلية، فيقول عن عمليات الاغتيال:

(إنها كانت في البداية تنفذ من قبل وحدة شبه عسكرية مكونة من ميليشيات من مجاميع سياسية رئيسية في البلاد تعمل مع القوات الخاصة الأمريكية وتحت أمرة القادة الأمريكيين لملاحقة المقاومين العراقيين الذين يوصفون ب(المتمردين) ولهذا فان الموت اليومي هو فعل أمريكي على كل

حال، سواء أتم ذلك بأيد أمريكية أم بأيد عراقية تعمل تحت الإمرة الأمريكية)[44]..

رؤية الرئيس بوش والصلة بين العراق وفلسطين

وكي تكتمل الصورة عن هذا الموضوع من كافة جوانبه نشير إلى الصخب الإعلامي حول (مؤتمر الخريف) الذي عقد مؤخرا في (انابوليس) لإحياء عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية وعلاقة ذلك بمسالة احتلال العرق فنقول إن حقيقة الدعوة لهذا المؤتمر هي بمثابة (جزرة) لإغراء الدول العربية التي يصفها بـ (المعتدلة) للدخول في جبهة واحدة مع إسرائيل ضد ما وصفه بـ (محور الشر) الإيراني السوري، الذي يحمله بوش مسؤولية فشل مشروعه في العراق، ويرى هؤلاء المحللين أن دعوة بوش هذه تلخص رؤيته لحل الصراع العربي الإسرائيلي في عرض صريح لمبادلة احتلال العراق بـ (وعد) مبهم بإقامة دويلة فلسطينية[45]..

وفي إطار هذه الدعوة الجديدة يقوم الخطاب السياسي الأمريكي بطمس الحقائق عن موضوعين رئيسيين.. اولهما: الدور الإسرائيلي في الاحتلال الأمريكي للعراق، وثانيهما: الصلة القومية العضوية الوثيقة للمقاومة الوطنية في كل من العراق وفلسطين..

وإزاء الموقف العربي المتردد والضعيف فقد وصل الصلف الأمريكي الإسرائيلي إلى مرحلة التحكم في مسارات اللعبة السياسية العربية إلى درجة وضع العرب في زاوية حرجة وتخييرهم بين القبول بالاحتلال الأمريكي للعراق أو وضع حد للتوسع الإقليمي الإسرائيلي يضمن لإسرائيل، التي مازالت تحتفظ بمكاسبها الإقليمية التي حققتها بالعدوان العسكري، حدا يتم

التفاوض عليه ثنائيا معها، بينما يقتصر الدور الأمريكي على التوسط لدى حليفتها الاستراتيجية لإقناعها بالتفاوض..

والمتتبع للأنشطة والتصريحات الأمريكية الخاصة بوجود صلة بين الاحتلال الأمريكي للعراق وبين تسوية الصراع العربي الإسرائيلي يجد أن هناك جدلا واسعا حول هذا الموضوع خاصة بعد اعتراف الحزبين الجمهوري والديمقراطي الأمريكيين علنا ولأول مرة بصفة شبه رسمية عبر (مجموعة دراسة العراق) المشتركة، في تقرير جيمس بيكر– هاملتون بان القضيتين متصلتين (اتصالا لا فكاك منه) في حين تبذل الإدارات الأمريكية المتعاقبة قصارى جهودها لقطع أي صلة يمكنها أن توحد النضال الوطني لعرب فلسطين والعراق ضد الاحتلالين الأمريكي والإسرائيلي[46]..

وهنا نجد أن هناك اختلافا في الخطاب السياسي الأمريكي تجاه هذه المسالة، ففي الوقت الذي تكرر الإدارة الأمريكية نفيها لأي صلة بين أهدافها في العراق (أو في إيران) وبين أهدافها في الصراع العربي الإسرائيلي، وآخر نفي صدر في هذا المجال على لسان (ستيفن هادلي) مستشار الأمن القومي الأمريكي، الذي ذكر أن إدارته تواصل السعي (بشكل منفصل وكلا على حدا)[47]، نجد أن (كوندوليزا رايس) اضطرت إلى الاعتراف بان كل القضايا الإقليمية جميعها أجزاء من كل..إحداها تشجع الأخرى وتعززها.. أما على الصعيد الأمريكي الشعبي فقد أدركت (الحركات المناهضة للحرب) أهمية وضرورة (التركيز بصورة واضحة على الصلة بين العراق وفلسطين)[48]..

أما نحن فنقول أن هناك صلة وثيقة بين العراق وفلسطين وان قضية النضال في البلدين قضية قديمة مترابطة مع بعضها تعود إلى عشرات السنين إلى ما قبل حرب 1948 ومشاركة الجيش العراقي في هذه الحرب

والتي لم يوافق حتى ألان على الهدنة التي أنهت تلك الحرب، وإذا رجعنا للتاريخ القديم فأنها تعود إلى آلاف السنين، وهذا أمر معروف للقاصي والداني ولمن يشكك في هذا فليقرأ في التوراة التي بين أيدينا عن هذا الموضوع..

وفي السياق نفسه فقد اقر مجلس الشيوخ الأمريكي (كما ذكر الباحث في مكان سابق) في 26 / 9/ 2007 بأغلبية (75–23) صوتا لتعديل على مشروع قانون الميزانية العسكرية في العراق وأفغانستان لعام (2008) يفوض الحكومة الأمريكية ب(تشجيع) العراقيين على تقسيم وطنهم إلى ثلاث دويلات تتحد (فيدراليا) بحجة أن التقسيم هو (الحل) الوحيد للصراعات الأهلية، فهذا الحدث، هو الدليل الأوضح على الصلة العضوية الوثيقة بين ماحدث ويحدث في فلسطين وبين ما يجري في العراق..

فها هو التاريخ الفلسطيني يكرر نفسه في العراق وتقريبا بنفس السيناريو وبالذريعة ذاتها وبحل التقسيم إياه (قرار تقسيم فلسطين المرقم 181 الصادر في 29 /11 / 1947) وتكاد تكون ردود الفعل العراقية والعربية المستنكرة والرافضة لفظا هي نفسها مع فارق بسيط هو أن الإرادة القومية الشعبية للأمة العربية فرضت على أنظمتها الحاكمة عام 1948 أن تقرن رفضها اللفظي بالفعل العسكري، غير أن هذه الإرادة اليوم ضعيفة أمام الولايات المتحدة حد (الاستئساد على شعوبها في الداخل لكنها عاجزة تماما عن درء أي مخاطر خارجية سواء على الوطن القطري أو على الوطن القومي بحيث لا تقوى حتى الحيلولة دون حكامها وتسهيل مهمة الاحتلال في العراق إن طوعا أو كرها)[49]..

الخاتمة

بعد الحرب العالمية الثانية قامت السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على ثلاثة ثوابت: احتواء النفوذ السوفيتي، ضمان امن إسرائيل وتفوقها العسكري وحماية المصالح الأمريكية في المنطقة، وبعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي في أواخر القرن الماضي ظهر ما سمي بالنظام العالمي الجديد والشرق الأوسط الجديد.. بعد حرب الخليج الثانية واتفاقيات اوسلو 1993 حدث تحول في الخطاب السياسي الأمريكي، فحسب بعض المحللين الاستراتيجيين تراجعت الديمقراطية، التي احتلت المقام الأول في هذا الخطاب خلال الحرب الباردة وتقدم عليها مبدأ التفوق الأمريكي واستقرار النظام العالمي..

وحول هذا التحول في الفكر السياسي الأمريكي يتفق محللون سياسيون عالميون على أن هناك أجماعا بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي على ضرورة ترسيخ دعائم المؤسسات الدولية وإعطائها دورا من اجل معالجة أي محاولة تعيد النظر في المصالح القائمة مع بقاء الجدل قائما حول طبيعة تدخل الأمم المتحدة ومداه في ألازمات الجديدة مع إبقاء خيار استخدام القوة قائما وحسب ظروف ألازمة وتأثيراتها على المصالح العليا للولايات المتحدة..

ومن خلال قراءتنا لنظريات ورؤى كبار السياسيين والمفكرين والخبراء الأمريكيين، كما مر بنا سابقا، والتي شكلت القاعدة التي تنطلق منها اتجاهات الخطاب السياسي الأمريكي، يتبين أن سياسة الولايات المتحدة اعتمدت مباديء محددة في تعاملها مع المناطق الساخنة في العالم وبما ينسجم ومصالحها الاستراتيجية العليا بالدرجة الأساس.. من هنا فقد سعى مخططو السياسة الأمريكية منذ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلى

خلق نظام عالمي تتزعمه الولايات المتحدة يعتمد على القدرات العسكرية والاقتصادية والسياسية الأمريكية وعلى قيم وسلوكيات مستمدة من واقع الشخصية الأمريكية المحبة للعنف والسيطرة وعدم احترام مشاعر الآخر أو حقوقه إلا بمقدار المصالح المتبادلة، وقد شكلت هذه المبادىء والقيم جوهر السياسة الأمريكية الخارجية المتمثلة بالهيمنة والسيطرة على العالم والى توسيع دائرة التحكم في النظام الدولي عن طريق منع بروز دول عظمى منافسة لها في أوربا وشرق آسيا..

فالهيمنة أو الزعامة، حسب الخطاب الأمريكي، هي استراتيجية واقعية تسعى إلى إدامة السيطرة الجيوسياسية لما بعد الحرب الباردة.. ويعتقد أنصار هذه الاستراتيجية أن على الولايات المتحدة أن تسعى إلى زيادة قوتها النسبية إلى أقصى حد، وذلك لان السياسة الدولية على قدر كبير من التنافسية، وتقوم هذه الاستراتيجية على افتراض أن الدول تكسب الأمن خلال توازن القوى، بل عِبر اختلال القوى لمصلحتها (أي بسعيها إلى الزعامة)..

وتفترض هذه الاستراتيجية أن للولايات المتحدة مصلحة حيوية في الحفاظ على الأمن والاستقرار.. ومن حيث الجغرافيا تنظر استراتيجية الزعامة إلى كل من أوربا وشرقي آسيا والخليج العربي كمناطق تقوم فيها للولايات المتحدة مصالح أمنية حيوية..

وتعد أوربا وشرقي آسيا مهمتين لأنهما يمكن أن تبرز منهما دول عظمى جديدة وان تندلع فيهما في المستقبل حروب بين الدول القوية، حسب تعبير (غاريس) الذي يضيف بان الخليج العربي مهم بسبب وجود النفط فيه..

ويرى الخطاب الأمريكي أن الضمانات الأمنية الأمريكية لأوربا وشرقي آسيا هي الوسيلة التي تحافظ بها استراتيجية الهيمنة والزعامة على نظام سياسي دولي سليم يؤدي إلى الاعتماد المتبادل..

ويرى مناصرو ومخططو هذه الاستراتيجية أنها ذات حظ من الاستحسان بالحدس والمنطق، أما القوة فمهمة جدا في السياسة الدولية وللولايات المتحدة الحظ الأوفر منها، ويعتبرون أن من مصلحة أمريكا أن تكون هي القوة العظمى الوحيدة في عالم أحادي القطب.. لكن أصحاب الرأي الآخر يرون أن هذا الاعتقاد خاطيء، فما من دولة تستطيع احتمال إقامة أمنها على الثقة بالنوايا الطيبة للآخرين، لان النوايا تزول بسرعة ونوايا اليوم السليمة يمكن أن تتحول غدا إلى نوايا شريرة، ولهذا السبب تقيّم الدول استراتيجياتها على تقديرات إمكانيات الآخرين، أي ما يتوفر لديهم من قوة وإمكانيات وموارد فعلية كافية..

والذي يقلق الدول الأخرى هي القوة الهائلة لدولة ما تريد أن تكون زعيمة ومهيمنة.. وكون أمريكا ذات قوة لا تكبح (حتى الوقت الحاضر) هو الذي يرى فيه الآخرون مصدر قلق لهم.. وإذا عدنا إلى تحليل (بريجنسكي) يتبين أن الرعب الذي يبثه في قلوب الآخرين زعماء طامحون يفسر إلى حد بعيد سبب عدم تمكن أمريكا من منع قيام دول عظمى جديدة وبالتالي عدم قدرتها على إقامة الحكومة العالمية.. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أيضا أن الشواهد التاريخية تدلل أن ظهور زعيم طامح يعتبر عاملا مساعدا قويا في ظهور دول عظمى جديدة..

بهذا المعنى يمكن أن يكون قيام مثل هذه الدول بمثابة رد فعل دفاعي إزاء تهديد الدولة العظمى، من هنا يمكن فهم سبب حرص الولايات المتحدة على عدم ظهور زعيم طامح أو دولة طامحة.. والمفارقة في الأمر هي أن هؤلاء يرون أيضا عدم وجود سبب قاهر للاعتقاد بان الولايات المتحدة سوف تستثنى من هذا المصير..ففي السنوات العشر القادمة أو العشرين القادمة سوف تقود سياسة الهيمنة الأمريكية إلى ظهور دول طامحة كألمانيا واليابان والصين (وربما تعود روسيا أيضا إلى الظهور من جديد)

كدول عظمى قادرة على العمل كقوة توازي قوة الولايات المتحدة وبالتالي منافستها على خلق معطيات جديدة في السياسة الدولية..

أما بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط واحتلال العراق فيمكن إجمال اتجاهات الخطاب السياسي الأمريكي بقضايا رئيسية أربع هي:

1. إنقاذ العراق من الانهيار وضمان الأمن والاستقرار في هذا البلد وإقامة نظام جديد مستقر فيه وإعادة أعماره، وهناك من يقترح وضع هذا البلد تحت المسؤولية العسكرية لحلف الأطلسي بصورة مؤقتة..
2. منع إيران من امتلاك السلاح النووي بأي ثمن وتشجيع الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في هذا البلد، ولتسهيل هذه المهمة تسعى أمريكا والاتحاد الأوربي إلى تعاون روسي في تنفيذ هذه الاستراتيجية..
3. أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فتسعى أمريكا وأوربا والشريك الروسي إلى تنفيذ خطة مشتركة لتسوية النزاع العربي الإسرائيلي من خلال تطبيق خطوات عملية محددة للعمل على إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة والاستمرار..
4. وفيما يخص ما سمي بالإصلاحات في الشرق الأوسط فهناك شبه إجماع على تخلي أمريكا في الوقت الحاضر عن أي خطط لفرض هذه الإصلاحات من الخارج والتعويض عن هذه السياسة بالتنسيق مع الدول الحليفة للقيام بجهود مشتركة من اجل مساعدة دول الشرق الأوسط على تحسين وتطوير أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية وذلك لتجنب نشوب نزاعات داخلية محتملة في عدد منها..

Trends of Contemporary U.S. Political Speech

By: Abdul-Wahab M. AL-Juburi
Assikt, leeturer, History Department, Edueation College, Mosul University

Abstract

This study aims at explaining the truth of information and U.S. political speech in the writings of men of letters and intellectual themselves. Opinions and present American changes express official point of view of U.S. Administrations which are based upon Israeli Lobby in both Washington and Israel. This study also explains the details of U.S. political speech with in its styles changes, dimensions and goals especially what relate our Arab and Islamic area in order to be a ware of what is being planned Overtly and openly against us and to obsess our will, decisions, wealth and integrity of our nation.

الهوامش

(*) هذه الدراسة تتناول طبيعة الخطاب السياسي الأمريكي، الذي يعكس سياسة الهيمنة والسيطرة الأمريكية على العالم واحتواء منطقة الشرق الأوسط والحرب على العراق والتحولات التي طرأت على هذا الخطاب منذ انتهاء الحرب الباردة وحتى الوقت الحاضر..

(1) خليل العناني، أمريكا وجدلية الحرب، مجلة البيان، العدد 195 / يناير- كانون الثاني 2004، ص 80..
(2) خليل العناني، المصدر السابق، ص 81
(3) كريستوفر لين، إعادة صياغة الاستراتيجية الأمريكية الكبرى، زعامة في القرن الحادي والعشرين أم توازن قوى، ترجمة أديب يوسف شيش، ينظر:مجلة الفكر السياسي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق / شتاء 1998- 1999، العددان الرابع والخامس، ص 28-29..،
(4) الشرق الأوسط الجديد في الفكر الأمريكي / مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتطبيق / بيروت 2000، ينظر: مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد، العدد الثاني، أيلول، 2001، ص 123
(5) الشرق الأوسط الجديد في الفكر الأمريكي، المصدر السابق، ص 123
(6) المصدر السابق، ص 124
(7) هادي حسن عليوي، شخصيات استراتيجية، فوكوياما، تسويق الديمقراطية، ملحق جريدة الصباح العراقية، العدد 821، 29/4/ 2006، ص 15
(8) هادي حسن عليوي، المصدر السابق، ص 15، ينظر أيضا: مجلة مركز الدراسات الفلسطيني. مصدر سابق، ص 124
(9) مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، مصدر سابق، ص 125. مجلة الحكمة- تصدر عن بيت الحكمة– بغداد / العدد 15 السنة الثالثة 2000..
(10) مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، مصدر سابق، 126. ينظر أيضا: هادي حسن عليوي، مصدر سابق، ص 15
(11) المصدر السابق، ص 126
(12) قراءة متأخرة في الاستراتيجية الأمريكية والسيناريو في المنطقة، عرض حسين شلوشي، جريدة الشراع، العدد 86 في 3/ 4/ 2004
(13) ستروب تالبوت، كيف تعمل مؤسسات الفكر في أميركا، جريدة المدى العراقية، العدد 432، في 7 تموز 2005
(14) جفري وايت (محلل استخبارات حكومي متخصص في الشؤون العراقية والمنية وهو زميل لمعهد واشنطن) الحرب في العراق: تقويم أولي / معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى في 28 / 3 / 2003..

(15) كريستوفر لين، إعادة صياغة الاستراتيجية الأمريكية الكبرى، مجلة الفكر السياسي، مصدر سابق، ص 35

(16) محمد براو، الإسلام والغرب، صدام أم حوار، نقد نموذج صدام الحضارات، موقع إسلام اونلاين، في 16/ 3/ 2002..

(17) محمد براو، المصدر السابق..

(18) مرتضى صلاح، استراتيجية رامسفيلد في الحرب الحالية، جريدة الصباح، العدد 759 في 4 شباط 2004، ينظر أيضا: مجلة الفكر السياسي، مصدر سابق، ص 29، ينظر أيضا: ازراج عمر، السياسة الدولية، دراسات استراتيجية، ترجمة عامر الدسوقي، عبر النت

(19) المصدر السابق، ص 29

(20) المصدر نفسه، ص 33

(21) المصدر نفسه، ص30

(22) المصدر نفسه، 32

(23) سالم احمد غانم، الإدارة الاستراتيجية، موقع دنيا الوطن في 12 / 4 / 2006.

(24) مجلة الفكر السياسي، مصدر سابق، 33

(25) تيري ميسان، الشرق الأوسط الجديد.. قديم، موقع هيئة علماء المسلمين في العراق، الهيئة نت، في 2/ 8/ 2006..

(26) تيري ميسان ، المصدر السابق

(27) هادي عليوي حسن، شخصيات استراتيجية، فوكوياما، مصدر سابق

(28) كاظم محمد، إقطاعيات العراق وكانتونات بغداد: أيها المواطنون، التقسيم قادم، موقع ميدل ايست اونلاين، ص 3 وص 4، دراسة أمريكية عن العراق أعدها (جوزيف ادوار) وهو باحث في معهد (برو كينجز) وشاركه فيها الباحث المتخصص في شؤون الأمن القومي الأمريكي (مايكل هاتلون) في 28/ 8/ 2007، ينظر ايضا: دكتور محمد بن سعود البشر، الأيديولوجية في الخطاب الأمريكي، أستاذ الأعلام السياسي / جامعة الإمام، عبر النت.

(29) نجوى منصور، العراق بعد ثلاث سنوات على الاحتلال.. الحصاد والمستقبل، هل حقق الاحتلال الانجلو – أمريكي أهدافه المرحلية والاستراتيجية، موقع اونلاين في 3/ 4 / 2006..

(30) انظر كاظم محمد، دراسة أمريكية عن العراق، مصدر سابق..

(**) استخدمت الولايات المتحدة وحلفائها خلال حرب 1991 حوالي (300) طن من اليورانيوم المنضب تعادل مليون اطلاقة جو– ارض من عيار 30 ملم وحوالي 15 ألف اطلاقة دروع من عيارات 105 ملم و122 ملم وتسبب هذا الحجم الكبير من الأسلحة الاشعاعية الأكثر فتكا في العالم والمحرمة دوليا بدمار شامل في العراق شمل الإنسان والبيئة والحيوان وظهور عشرات الآلاف من الأمراض السرطانية والتشوهات الخلقية والإجهاض المتكرر عند النساء وغيرها من الإمراض الخطيرة.

(31) سليم الكراي، العراق بين دوامة العنف والبحث عن الاستقرار، موقع اونلاين في 18/ 5 / 2006.

(32) نبيل زكي، بعد ثلاث سنوات من العدوان على العراق، الحرب القذرة والمأزق الأمريكي، موقع اونلاين في 2006 4/ 2006

(33) صلاح عمر العلي، أخطاؤكم استراتيجية كما هي تكتيكية، موقع ميدل ايست اونلاين في 22/ 4/ 2006..

(34) نبيل زكي، مصدر سابق.

(35) المصدر السابق.

(36) عاطف الغمري، مشروع الفوضى الاقليمية، موقع هيئة نت، في 9/ 8 / 2006.

(37) نبيل زكي، مصدر سابق.

(38) المصدر نفسه.

(39) هادي عليوي حسن، مصدر سابق.

(40) مجلة الفكر السياسي، مصدر سابق، ص 34.

(41) نبيل زكي، مصدر سابق.

(42) المصدر السابق.

(43) زكريا شاهين، في الذكرى الثالثة لغزو العراق.. الاستراتيجية الأمريكية.. القتل اليومي للهروب من المأزق، موقع اونلاين، في 3/ 4/ 2006.

(44) زكريا شاهين، المصدر السابق.

(45) نقولا ناصر، رؤية بوش: احتلال العراق مقابل وعد بدويلة فلسطينية، ميدل ايست اونلاين، في 10 / 9/ 2007.
(46) كاظم محمد، إقطاعيات العراق وكانتونات بغداد، مصدر سابق.
(47) المصدر السابق.
(48) عاطف الغمري، مشروع الفوضى الاقليمية، مصدر سابق.
(49) تكاليف الحرب الأمريكية على العراق، جريدة الصباح في 26/ 6/ 2006 ترجمة آلاء فائق..